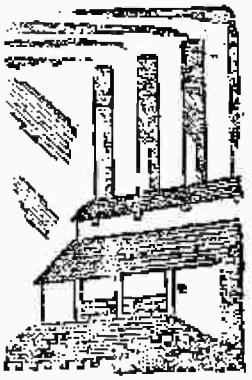

ألمانيا الحديثة

زرت ألمانيا في العام الماضي ، ثم زرتها في العام الحالي ، فشعرت في المرة التالية بأني لا أعرف ألمانيا ، وما ذلك إلا للفرط البعيد الذي قطعته البلاد في التعمير والانشاء . وفي اعتقادي انني لو زرت ألمانيا في العام المقبل لوجدت انني أزداد بها جهلاً بدلاً من أن ازداد بها معرفة بسبب استمرار حركة البناء في جميع المرافق العامة .

نزلت من محطة سكة حديد « كولونيا » فوجدت المدينة في عيد فالفنادق مزدحمة بنزلائها . وخرجت الصحف الألمانية تنشر في صفحاتها الأولى مقالات تحث فيها الألمانيين على استضافة الزوار الذين جاءوا ليشهدوا السوق الدولية .

والواقع أن ألمانيا في شبه هوس فيما يتعلق بالمعارض والأسواق فهناك معرض دولي في فرنكفورت ومعرض للفنادق في هيرج ومعرض للأطعمة والمؤن في هانوفر ومعرض للحرف اليدوية في مونيخ ومعرض للانشاء في شتتغارت ومعرض لأوراق اللعب

وكانت السمة المألوفة في ألمانيا في العام الماضي هي السجاير التي تباع في الأسواق السوداء ولكن « الماركات » الألمانية الجديدة سرعان ما اكتسبت ثقة المتعاملين وملأت جيوبهم وعندما انتهى العمل بنظام الجراية بعد احترامه ثلاث سنين أقبل الناس على شراء كل شيء ولاسيما الملابس والأحذية . كما انهم زادوا من استهلاكهم من المواد الغذائية وصار الناس يشترون المنازل والسيارات . وصار الأثاث يصنع حسب الطلب .

ومدينة « بون » هي العاصمة السياسية لألمانيا الغربية . وفيها ممرات المدن الريفية فظلالها يلبسون الكاسكيت على رؤوسهم . أما كنائسها فيذهب إليها الناس في احتشام . وفي المدينة نحو ٨٠٠ من أطباء الأسنان والصيادلة جاءوا ليبحثوا وسائل خلع الأسنان بغير ألم بفضل جهاز خاص يطلق غازاً كربونيًّا .

والواقع أن البرلمانيين والوزراء في المانيا الغربية — باستثناء الدكتور اديناور رئيس الوزراء — هم أبعد الناس عن أن يكونوا من طبقة الرجال الدوليين غير أن سكان المانيا الغربية انتخبوا ممثلين برلمانيين لهم معروفين بإخلاصهم وتفانيهم في العمل . وقد احتفل أخيراً احتفالاً قومياً بالمارشال الدرموث وزير التعمير الالماني وهو البرلماني الثاني والعشرون في المانيا الذي انتقل الى الدار الآخرى في خلال العامين الماضيين . والالمانيون يقولون إن رجالهم يموتون وهم يؤدون واجبهم والواقع ان المارشال الدرموث بطل معركة المطافر في عام ١٩٤٤ ترك وراءه عملاً مجيداً من أعمال السلام فقد استطاع تعمير ما لا يقل عن مليون من المنازل التي دمرت في خلال الحرب وعددها ٥ ملايين وفي عام ١٩٥٠ ضربت المانيا رقماً قياسياً فاق جميع الأرقام القياسية في أوربا إذ أنشأت ٣٥٥ الف منزل جديد بينما لم تنشىء فرنسا أكثر من ٣٥ ألفاً . وفي عام ١٩٥٢ ستتفوق المانيا حتى على الولايات المتحدة بانشائها ٣٨٥ ألف منزل جديد منها ٣١٠ آلاف منزل اجتماعي .

والمثال الأعلى للمدن في المانيا هو أن تكون مدناً ذات حدائق في كل منها ٥٠٠٠ وحدة للسكنى موزعة في خطوط مستطيلة ينفصل كل خط منها عن الآخر .

وقد قابلت الدكتور ارهارد وزير الاقتصاد الالماني وسألته كيف تسنى لكم أن تنجحوا في الاتفاق على هذه المشروعات الانشائية جميعاً فقال : من عام واحد كانت المانيا على شفا الافلاس المالي كما هو حال فرنسا الآن فما كان مني إلا أن ركبت الطائرة إلى وشنجطن لأبحث الأمر فيها . والأميركيون يبالغون عندما يقولون إن التعمير الالماني مدين لدولارات الأميركية . صحيح اننا تلقينا دولارات أميركية يبلغ مقدارها حوالي ٤ مليارات منذ عام ١٩٤٥ غير اننا لجأنا إلى الاستماع عن استيراد كل ما يعد من الكماليات وتوسعنا في انتاجنا بمقدار ١٥ في المئة في السنة وعملنا غاية جهدنا لتثبيط همة الذين يريدون أن يعيشوا عيشة الترف ، وقضينا على عنصر الخوف أعني الخوف من الحرب وفرضنا رسوماً جمركية عالية على البن والسجائر والكحول حتى صارت رسومنا أعلى منها في أي مكان في العالم .

واستدرك الدكتور ارهارد بقوله إننا استنفدنا الأرصدة في البنوك بربح قدره ١٢٥ في المئة واستنفدنا كذلك الأموال « السوداء » بربح يزيد على ٣٠ في المئة كما اجتذبنا الأموال غير المستثمرة بربح قدره ٢٥ في المئة ولا ريب في أن هناك مليارات أخرى من المدخرات تتمثل في سبائك الذهب التي يخبئها الالمانيون في الكهوف والحدائق وفي الخزائن الحديدية ولا سيما في جزيرة ليختنشتين وفي طنجة أو في سويتسيرا . ونحن

تحاول اجتذاب هذه الأموال لاستخدامها في بلادنا عن طريق الثقة التي اكتسبناها .

أما عملتنا فمع أن عمرها لا يزيد على ثلاث سنين فقد أصبحت أقوى عملة في أوربا بعد الفرنك السويسري والفرنك البلجيكي . ومنذ اشتد الاقبال على الشراء عقب الحرب الكورية ظلت أسعار المواد الضرورية في ألمانيا شبه مستقرة .

وأما فيما يتعلق بصادراتنا فانها تزيد مئة على ما كانت عليه في العام الماضي، والعام الماضي يزيد بدوره بنسبة ٧٠ في المئة على ما كان عليه في عام ١٩٥٠ ونحن ندفع ثمن ٤٠ في المئة من المنتجات الغذائية والمواد الأولية التي نحتاج إليها والأمر الذي نحتاج إليه هو رأس المال وقد شرعنا ندخر كل شيء وهذه هي مهمة وزير المالية الألماني ولا ريب في أن التضخم المالي قد قضى عليه تماماً وفي صباح اليوم رأيت زوجة أميركي كبير تسير في شوارع بون لشراء ما يعوزها من سلع فوجدت في حوانيتنا سلعاً تفوق بكثير ما يباع في كنتينات « الأميركيين في بون تهدم في خلال الحرب في مدينة فرنكفورت نحو ٧٥ في المئة من منازلها وكان عدد سكانها في عام ١٩٤٠ نحو ٦٠٠ ألف فانخفض في عام ١٩٤٥ إلى ٥٥ ألفاً وصار اليوم ٧٥٠ ألفاً والمدينة اطلال فوق اطلال وان كانت يد العمران تعمل فيها ليل نهار . وقسل ثلاثة أعوام كانت السيارات الأميركية تسير في المدينة المظلمة ليلاً فتضيء شوارعها بمصابيحها

واليوم — وهو يوم العطلة الأسبوعية — رأيت الرجال والنساء والأطفال يعملون بأنفسهم في بناء دورهم . وبفضل أعمال هؤلاء السكان الذين يستعينون بالمراسات والروافع الكهربائية ، أمكن تعمير هذه المدينة التي كان يشتهي الشاعر الألماني « جوته » ويمضي فيها أيام عطلته وقال لي الدكتور راهرمان السكرتير العام للصناعات الكيميائية إن انتاجنا قد زاد بنسبة ٥١ في المئة إذا قورن بما كان عليه قبل الحروب واليوم تزيد صادراتنا على صادرات بريطانيا بنحو ٢٠٠ في المئة . وأعتقد أن صادراتنا في هذا العام ستفوق حتى صادرات أميركا في كثير من السلع الضرورية .

أما عمالنا . الذين أغراهم الدولار الأميركي والعمل اليسير الهين في الولايات المتحدة فقد شرعوا يعودون إلى بلادهم . وهذه مشكلة كبيرة تشغل بال السلطات الأميركية لأن بعض هؤلاء الألمانيين عملوا في مصانع أميركية .

وقال السكرتير العام ان الكيميائيين الألمانيين هم قبل كل شيء واثقون من الكيمياء

الألمانية ولذلك فان نحو ثلث عدد طلابنا — وهم ١١٠ آلاف بزيادة عشرة آلاف على عددهم قبل الحرب — يكرسون الآن على دراسة العلوم التطبيقية ».

وفي صيدلية واحدة من صيدليات فرنكفورت عثرت على اثني عشر نوعاً من عقار البنسلين وحده ، فهناك ما يصلح لعلاج الأعصاب وما ينفع في علاج الأعضاء التناسلية وما يستخدم في ازالة الضيق الجاثم على الصدر. وللطلاب الحق في الحصول على ما يعوزهم من الكوكايين والهروين والبنزدرين والافدرين وغيرها من المواد المخدرة بناء على توصية المعهد إذا كانوا في حاجة إلى هذه المواد في اجراء بحوث علمية أو في امتحاناتهم النهائية .

وفي مدينة « هيرغ » — أطل عمدة هذه المدينة من نافذة « فندق المدينة » وتطلع إلى الأفق ثم أخذ يحدثني عن المدينة وعن مبتدأ الأمر بالنشاط . وقال العمدة عن أيام الحرب : لم يكن لدي الوقت لرفع الأنقاض بعد الأغارات الفوسفورية التي تعرضت لها المدينة في عام ١٩٤٣ ولكنني بادرت إلى ازالتها لانقاذ الرجال والنساء والأطفال الذين ظلوا ثلاث ليال أحياء تحت حطام منازلهم ، ويبلغ عددهم ٥٤ ألفاً .

ثم قال : هاك حسابي الختامي : لقد هدمنا ١٥٠ ألف مبنى وأنشأنا ٦٠٠٠ واجهة جديدة ومددنا رصيفاً للميناء طوله ٢٢ كيلومتراً ، وفي العام الماضي دخل الميناء ٩ آلاف سفينة المانية كلها جديدة وأكثر من ٦ آلاف بحار يمثلون ٤٠ دولة أجنبية واليوم أصبحت هيرغ على اتصال بمئة واثنين وتسعين خطاً من خطوط المواصلات بالعالم أجمع .

وحدث أخيراً أن اجتمع عمدة ليفربول وعمدة هيرغ فقال الأول للثاني وهو يصافحه بعينيه : من اذن هو الذي كسب الحرب ؟

فمنطقة الرور وهي قلب الصناعة الذي لا يبارى في أوربا وهي التي كانت تنافس أميركا الى بدء الحرب العالمية الأخيرة أدهشت العالم الآن وأفنقت الولايات المتحدة بانتاجها الوفير . فقد صار انتاجها اليوم من الفحم والفولاذ والكهرباء يتجاوز الحد الذي وضع لعام ١٩٥٠ بنحو ١٥٠ في المئة ، وهو أمر لا تعرفه دولة أوربية أخرى .

أما صادرات المانيا إلى الولايات المتحدة فهي أكبر صادرات في العالم ومعظمها من المنتجات الصناعية والكيميائية . وهكذا نهضت المانيا من كبوتها بعد الحرب ولم تستسلم وتتخاذل كما كان شأن فرنسا بعد نابليون .

✲ ✲

« مترجمة من مجلة كرنفلاسيون الفرنسية »